

روح المعاني

المستفاد من قوله سبحانه وما يتضرعون .

. 76

- إذ له أن يقول : الجوار مطلق الصراخ وهو غير الإستكانة □ D وغير التضرع إليه سبحانه وهو ظاهر وكذا إذا أريد بالجوار الصراخ باستغاثة بناء على أن المراد بالإستكانة له تعالى ما علمت آنفا من الإنقياد لأمره D وأن التضرع ما كان عن صميم الفؤاد والجوار ما لم يكن كذلك وكأن التعبير هناك بالجوار للإشارة إلى أن استغاثتهم كانت أشبه شيء بأصوات الحيوانات وقيل : ما تقدم لبيان حال المتقولين وما هنا لبيان حال الباقيين وعبر في التضرع بالمضارع ليفيد الدوام إلا أن المراد دوام النفي لا نفي الدوام أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى أصلا ولو حمل ذلك على نفي الدوام كما هو الظاهر لا يرد ما يتوهم من المنافاة بين قوله تعالى إذا هم يجأرون وقوله سبحانه وما يتضرعون أيضا واستكان استفعل من الكون وأصل معناه انتقل من كون إلى كون كاستحجر ثم غلب العرف على استعماله في الانتقال من كون الكبر إلى كون الخضوع فلا إجمال فيه عرفا وقال أبو العباس أحمد بن فارس : سئلت عن ذلك في بغداد لما دخلتها زمن الإمام الناصر وجمع لي علماؤها فقلت واستحسن مني : هو مشتق من قول العرب : كنت لك إذا خضعت وهي هذيلية وقد نقلها أبو عبيدة في الغريبين وعليه يكون من باب قر واستقر ولا يجعل من استفعل المبني للمبالغة مثل استعصم واستحسر إلا أن يراد في الآية حينئذ المبالغة في النفي لا نفي المبالغة وقيل هو من الكين اللحمية المستبطنة في الفرج لذلة المستكين وجوز الزمخشري أن يكون افتعل من السكون والألف إشباع كما في قوله : وأنت من الغوائل حين ترمي ومن ذم الرجال بمنزاج وقوله : أعوذ بـ□ من العقرب الشائلات عقد الأذنان واعترض بأن الأشباع المذكور مخصوص بضرورة الشعر وبأنه لم يعهد كونه جميع تصاريف الكلمة واستكان جميع تصاريفه كذلك فهو يدل على أنه ليس مما فيه إشباع حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد من عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وإلى هذا ذهب الجبائي وحتى مع كونها غاية للنفي السابق مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية كأنه قيل : هم مستمررون على هذه الحال حتى إذا فتحنا عليهم يوم القيامة بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه أي في ذلك الباب أو في ذلك العذاب أو بسبب الفتح أقوال مبلسون .

. 77

- متحiron آيسون من كل خير أو ذوو حزن من شدة البأس وهذا كقوله تعالى ويوم تقوم

الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقيل : هذا الباب استيلاء النبي صلى
الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم يوم الفتح وقد أيسوا في ذلك اليوم من كل ما كان
يتوهمونه من الخير وأخرج ابن جرير أنه الجوع الذي أكلوا فيه العلهز وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما أنه القتل يوم بدر وروت الإمامية وهم بيت الكذب وعن أبي جعفر رضي الله
تعالى عنه أن ذلك عذاب يعذبون به في الرجعة ولعمري لقد افتروا على الله تعالى الكذب
وضلوا ضللا بعيدا والوجه في الآية عندي ما تقدم والظاهر أن هذه الآيات مدنية وبعض من قال
بمكيته ادعى أن فيها إخبارا عن المستقبل بالماضي للدلالة على تحقق الوقوع .
وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار لتحسوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والأفئدة
لتتفكروا